

تطور الفلسفة

بقلم علي محمد راضي

لبانيه في القرية والآداب

الإنسان المدرك رأس هذه الخليفة التي تدرجت نحو استكمال نموها حتى تمخضت عنه . ومتى أدرك ماحوله اعلم فكره في تحليل ما يرى ورجع الى نفسه يبحث انفعالاتها وآثار ارادتها ، فهو اذن فيلسوف بطبيعته ، ومدفوع للتفكير بحكم وجوده وعمل حواسه وعقله واذا غنى الباحثون بدراسة الحفريات لنوع واحد من الكائنات يصلوا الى مقدار تطور حياته فما أولى طلاب العلم أن يصلوا بين حلقات تفكير الانسان منذ سكناه الكهف وصيده الوحش لاستخدامه الكهرباء واكتشافه مغناطيسية الحياة

الطبيعة والانسان متلازمان ، وبينهما أوثق الروابط .. هي معلته التي تلتق عندها أول دروسه ، وهي موضع بحثه منذ اللحظة الأولى لوجوده ، يكافحها مرة فتتسع دائرة مجهوده وتفكيره ، ويستخرجها مرة فينبى صرح تقدمه وعظمته . ولكنها ضئيلة بأسرارها ، وهذا ما يبعث على اعمال الفكر في تحليل مظاهرها وتكليف نفسه مشقة البحث عن أصل وجودها وعلة استمرارها

أبصر من مظاهر الطبيعة مالم يساعده عقله « الطفل » على فهمها ، وعجز عن التعرف على أسبابها ، فأحال صدورها الى قوى لا يدركها تماما ، وما دامت لا تخضع لارادته فهي اقوى منه واشد

جناح .. وأطفأنا الشمس باكفنا ١١١

وعندى أن الاساتذة الموتى الذين سلكوا السيل قبلنا - وكانهم مضوا ليفسحوا لنا المواضع - من حقهم أن يطرقوا خواطرنا ، وأن يرشفوا قليلا من الحياة في الفاظنا . فهم ، ورحمهم الله ، لم يبق لهم من سيل الى الضياء الا هذه الحروف التي تشع فيها خواطرنا هذا حال الادب هيات أن ينقطع . والادب بشرى قبل كل شيء ، فليس في استطاعة أحد أن يقطع الجبل او الادب أخو الحياة لا قديم فيه ولا جديد ، بل هو وله بالجمال وكذا على الحق ، وما عداها فمراء ٢

أمين نخله

لبنان

والربوات والشجر وهاتيك الدنيا الصغيرة ١١ فلما كبرنا عن العبي وكبرت الدنيا وصغرت (الباروك) - وكانت خيمة الناطور قد سقطت وانهد الطاحون ، وغفت الدروب على النهر - لم يذهب من القرية شيء بل ظلت لنا (الباروك) قرية بنهر وجبل وضاحية ، كما كان عهدنا بها أول العمر . ذهب النافل من ذلك الجبال الباروكي في غرق الايام وعتمه السواد ، وسلم ما ينبغي له . فلزم جواد (أبي الطيب) في رأس الجبل لثاءه راكبه ، ووقف يتلفت ١ ولو نزل (لامتري) بين البحيرات والدروب لآنس نسما وظلا واخضراراً ١١

هكذا نقول لاصحابنا في مشادة العتب بين (القديم والجديد) ، فالمر من يمسح النافل ، ويبقى على المتحمم النافع - وليس في الادب قديم ولا جديد ، بل الادب كد على الحق ، ووله بالجمال . نقط عتمه الآباد الف مرة على الصنيع الفنى الذى غمس بألوان الوله والسد وهو السالم الباقي لا يأخذ الليل منه حرفا ١

فالحسن - من على كل جبل . والتافه تافه أبداً . ماخر القدم قيد شبر ، ولا قدمت الجدة قلامة ظفر

ولقد سبقنا الى الدنيا ، وجاءها اناس كلفوا بالجمال والحق . وداروا على الباب فى الدروب . فآنسوا نارائهم النواهم ونزلوا رماداً . فكيف يسوغ لنا ، ونحن فى الدرب من ورائهم ، أن نقطع ما بيننا وبينهم ، ويقال ادب قديم وادب جديد ١٩٤

ان السكك القاسى فى صعيد الفكر ، والتضحية السمحة على مذبح (فينيس) ، والتقيب فى رياض الصحيفة عن الدنيا المنحجبة ، كل هذه عرفها الرصيف القديم (بين الدخول لخومل ...) ..

فطلب البلاغ الحر ، وقلب النسق فى الصنيع الفنى ، وابدال الوانه وصبه على شكلة الحياة القائمة كانت فى وكذ الاساتذة السالفين جيلا تلو جيل . وهكذا يقال فى شيوع الخاطر من المستهل الى المقطع ، وفى تماسك الحسن الذى لا يبذل للتور نفسه ، وفى الميسم المطبوع والنفس الخاص ، وفى المعنى الذى يسكن المبنى ولا يمد ساقه على مجبوحة اللفظ . ذلك كله كان من اغراض الاساطين فيهم ، يوقنون اليه حيناً وينكصون عنه حيناً . فليس الادب ابن يومه ، ما خطرت مطالب الحياة منه على بال احد فى الزمن لتقوم الضجة علينا ، ويتنادوا بالويل بعد ان أردنا الادب حياة وقوة رخنق

فروض طاليس وانكسندر وانكسينس .. وبدأ طور جديد تدور أبحاثه على الإنسان نفسه ، ويعتبر الواضع للأساس الجديد سقراط زعيم فلاسفة اليونان وتلميذه أفلاطون .. ولكنهما لم يتعرضا لتحليل العقل الإنساني باعتباره القوة المدركة ، ولم يذكرنا لنا شيئا عن ماهية النفس الإنسانية وقصرنا بحثهما على أعمال الإنسان ووجوب مطابقتها لما هو حق وعدل وخير .. صحيح أن أفلاطون كان يقول يقدم المادة ، ولكنه كان يعامل عملية الإدراك بوجود صورة سابقة في النفس للكائنات الموجودة ، فهو القائل بوجود عالم العقل وعالم الحس .

والحقيقة أن دراسة الفلسفة الإنسانية من الناحية التي عني بها المبلون الثلاثة « سقراط وأفلاطون وأرسطو » تنطبق على مباحث علم الأخلاق أكثر من مباحث الفلسفة نفسها ، ولهذا كان غرض أقطاب الفلسفة الحديثة إتمام النقص الذي ظل موجوداً بمد الفلسفة اليونانية .

ومباحث الفلسفة الحديثة تتم الفلسفة الإنسانية من حيث تحليل الحركة الفكرية ، وعلاقة الجسم بالعقل ، وقدرة العقل على فهم الحقائق ، وحركة الفكر الذاتية والتأمل ، ثم بحث النفس الإنسانية وهل لها وجود مستقل أو هي نتيجة لاتحاد القوى المدركة بالقوى المفكرة في الإنسان ؟

ولما كانت هذه المباحث من المعضلات العويصة الحل اتخذ كل فريق من الفلاسفة لحلها طريقاً خاصاً ، ففريق اعتمد على العقل وحده فانهدم صرح العقائد الموروثة ، وعاد العقل يزنها بمقياس الاستقلال الفكري مستعيناً بقوانين المنطق ، ولكن التوى على جماعة العقلين قضيهم لأن العقل بدأ يبحث نفسه ، وتطرق الشك إلى كيفية حدوث الإدراك ، وإذا ذلك لم يجد الباحثون بدا من الاتجاه إلى الحواس والاعتراف بأنها طريق الإدراك ، وهذا أساس المذهب « التجريبي » ، ومع ذلك قام من يثبت أن الحواس تقوم بعمل ميكانيكي ، وأن المخ في دائرة عمله في الحكم على ما تحمله إليه الحواس قاصر ، وأن هناك بجانبه وجداناته انفعالات خاصة لا دخل للحواس ولا للعمل الفكري في أحداثها . وإذا قسموا العقل فقالوا بالعقل المادي والعقل الملهم أو الخالص

ويطول البحث إذا أتينا على حجج كل فريق ، ولكن بما لا شك فيه أن للنفس البشرية وجوداً مستقلاً وإرادة خاصة غير ما

بطشاً ، ولذا اعتقد بالارواح الساكنة في القباب ، وقدم للآلهة المتعددة القرائن ليسعدها عن نفسه غضبها ، بل واعتقد بتجسد هذه الأرواح في بعض الكائنات الحية . وكان اليوناني يعتقد بالله الحب والقوة والجمال والماء والأرض ، ولا يزال الهندوس يقدسون البقر ، وبعض أهالي فارس يوقدون النار ليتردوا إلى الظلام ويساعدوا إلى النور . وعليه فالمعقدة هي محور الفلسفة الأولى الذي دارت حوله ، وطبيعي أن يلبس الإنسان وهو مزيج الحواس بما يكتشفه من هزيم الرعد ووميض البرق وانبات الحزم المستعرة إلى الاعتقاد بوجود التقرب والخضوع للقوة التي تصدر عنها .. أنه بذلك يدرك عن نفسه غضبها ، وتهادئ وساوس نفسه وشكوكه

ولكن لم يقف تفكير الإنسان عند هذا الحد الذي تسلط فيه عليه الوهم ، بل جعل يفكر في منشأ هذا الكون .. والعالم في نظره الأرض التي يعيش على سطحها ، والشمس التي تمد بتورها ، والقمر والكواكب التي تلتصق كلها جن الليل ، فقال بوجود العناصر الأربعة « التراب . والماء . والهواء . والنار » . ثم تدرج إلى القول بوجود عنصر واحد هو الماء ، ثم عدل عنه إلى الهواء لأنه أبسطها وأسرعها انتشاراً . ولعل هذا هو أساس الاعتقاد بالديم الذي لا يخرج عن كونه غازاً ملتصقاً متحركاً حول مركز جذب .. واليوم يؤمن الإنسان بوجود الأثير ، ولم يصل بعد إلى تعرف طبيعته ويضطر لإقراض وجوده ليعمل حدوث الاهتزازات والتوججات التي تنشأ عنها القوى الحركية والمترتبة للجزئيات الترتيب الذي يجعلنا نرى المادة في أوضاع وأشكال مختلفة

وأخيراً قام مذهب المعتدين بوجود وحدات كهربائية (الكثرونات) تتحرك بواسطة التجاذب النري ، وأن الكهرباء نفسها مؤلفة من ذرات . وقد قاد الإنسان إلى بحث سر الطبيعة ما أودع في نفسه من كلف بكشف كل ما يضمر عليه فهمه أو تعليله .. وقد أدار هذا الشكف إلى التفكير في أمر نفسه لا من حيث الاحتفاظ بوجوده وسد حاجاته الضرورية ، ولكن من ناحية فلسفية أدق ووجه أكثر تعقيداً ..

يشعر الإنسان بوجوده بطريق يقيني ، وهذا أصل معرفته ، ولكنه لم يدرك كيف تقوم معرفته لما يحيط به ، وكيف يفكر ؟ وما هي القوة الباطنة التي تؤثر فيه وتوجهه إلى حيث تريد ؟ .. إلى هنا طويت صحيفة الفلسفة الطبيعية التي أُنْجِيعَ وقته في خلق

الأمل الضائع

أوكذبة اسرائيل

لا تظن أيها القارئ الكريم أني سأحدثك عن سبب هذه الكذبة ، ولا متى وأين وجدت ؟ فذلك بالمؤرخ أجدر ، ولا عن مدى أثرها في نفوس من وقعوا في جبايلها : أخير هو أم شر ؟ أم جيل أم قبيح ؟ أم نافع أم ضار ؟ فذلك بعالم الأخلاق أو النفس أليق . إنما أحدثك بلسان أديب ، رأي رأي العين قبيحة من قناص هذه الكذبة ، على غير علم منه أنها قبيحة ، وإنما أردت أن أطرف بها القراء ؛ لأنها كما سيتبين طريقة حقاً ، بحكمة في نسجها إحكاماً ، حتى لقد بدت - وهي الباطل المزخرف - كأدوع ما يكون الحق ، ومثلت مع أديب شاعر لم ينسرب إلى قلبه الشك في صدقها ؛ ولعل ذلك إلى أن الأديب خلق أطنز الناس فطرة ، وأقام سريرة . . . ضحك الأديب المكنوب عليه مع من ضحكوا على هذه الأكذوبة ، وربما كان أكثرهم أغرافاً في الضحك ، ذلك أنه وقف من أصحابها موقف جاد من هازلين ، متفرج على ثملين : صادق مع كاذبين

طرححت إحدى المجلات الشهرية المصرية على الشعراء مسابقة أدبية ، ذات جوائز مادية ، وانتهى موعد التقديم ، وترقب كل شاعر وأديب نتيجة ، كما يترقب المسامح في بعض الألعاب نصيبه . وفي ذات ليلة من ليالى أبريل ، فكر ثلاثة من الاصدقاء ، في أن يكذبوا « كذبة أبريل » ولم يطل التفكير : فقد كانوا مبسمين في هذه المسابقة الادبية ، فلماذا لا تكون المسابقة هي مادة الكذبة ؟ ولماذا لا يكون أحد المتسابقين غيرهم موضوعها ؟ ولماذا لا يكون ذلك الاحد صديقا لهم ، اشتهر فيهم بالحلم ، فأمسوا عافية ماتحده المكذبة في صدره ؟ وأخيرا لماذا لا يتلوهن بهذه الاكثوية ويقطعون بها وبالحديث عنها فترة الانتظار ، انتظار النتيجة الملل اختمرت الفكرة ، ولكن بني أن تصقل بصقل الدماء ، وترتب سوانحها تابعا ، ويشذب ماعساء بنأ نسيا من شب وظنون ،

تبعته فيها البواعث الخارجية ويصل اليها من طريق الحواس .
والذي يهمننا أن الفلسفة تحولت من أعمال الانسان الى أفكاره
ومن تفكيره الى ماهية نفسه . وهذا آخر مدى وصلت اليه الفلسفة
الانسانية .

واليوم تقوم فلسفة أخرى تبحث النوعين الرئيسيين ، الفلسفة الطبيعية والانسانية ، لا على انهما منفصلان ، ولكن على أساس ايجاد الروابط التي تربط الانسان بالطبيعة ، ونتيجة هذا البحث الوصول الى الغرض الاسمي الذي لم يستطع الانسان منذ وجوده أن يظفر به لفصر تفكيره ونقص استعداده . إن اليقين بوجود الله من طريق العقل قد حل مشكلات الفلسفة قديما وحديثا . .

لقد أدرك الانسان أن ما يراه من مظاهر الطبيعة لم يسخر له
احتياطا ، وأن القوانين الطبيعية التي لم يطرُق اليها الخيال لم توجد
إتقا ، وأن صلة الانسان بالطبيعة ضرورية ، وأن عظمة الخالق كما
تظهر في سر الكهرباء والجذب تظهر في سر النفس وخلود الروح ،
وكما عجزنا عن معرفة ماهية القوة المسببة للحركة العامة للمادة . فها
أحرانا أن نكتفي من بحث الروح باليقين بوجودها .

فإن نوعاً من الفلسفة لا يزال غير مطروق مع عظيم فائدة . .
على الفلاسفة اليوم أن يتركوا بحث الانسان فرداً فقد قام الانسان
بنصيبه من التفكير في أمر نفسه . ولكن عليهم أن يضعوا لنا فلسفة
أجدى ، وأن يصرفوا جهودهم لبحث القوانين العامة التي يجب أن
تربط المجتمع الانساني . إن فلسفة المجتمع هي الغاية التي يجب أن
نشددها لثم سنة الانتقاء وهي التاموس الذي يحكم الطبيعة
والانسان .

علی محمد راضی

[illegible]